

أما أن أسلاف شكسبير ومعاصريه ، والشعراء الميتافيزيقيين قبل كاولي (Cowley) كانوا في ذلك العصر باثرين، فقد كان خذاً خليقاً أن يكون تبهيراً لاعراض باعة الكتب على أي اقتراح من قبل جونسون لإدراجهم . غير أنه ليس ثمة دليل على أن جونسون أراد إدراجهم ، وإنما يذهب الدليل الى إظهار أن معرفته بهم كانت محدودة جداً ، وأنه كان راضياً كل الرضى بإعداد مكتبة من الشعر للنشر كانت تبدأ بكاولي وملتون. وتعد المقدمة الجميلة جداً لشكسبير عملاً مستقلاً، ولا تظهر دليلاً على شعور بالحاجة الى تقدير أي شاعر بحسب علاقته بأسلافه ومعاصريه. ومع ذلك فإن براءة المناهج التاريخية والمقارنة التي يسلم النقد الحديث جداً بصحتها ، هذه البراءة تسهم في المزية الفريدة لهذه المقدمة، أما مزايا شكسبير التي يلفت اليها الانتباه فمعظمها تلك التي كان يتفرد بها شكسبير، والتي لم يشترك فيها الكتاب المسرحيين حتى من حيث الدرجة .

وهذا التحديد لجمال الشعر الانكليزي يعد سمة مميزة إيجابية ذات أهمية. وسيكون من الأخطاء الفاحشة أن يُعزى لجمال الضيق لاهتمامات جونسون الى الجهل وحده ، أو الى نقص في التقدير فحسب، أو حتى الى كليهما معا . وربما كان القول بأن جهله كان راجعاً الى نقص في فهمه أكثر صحة من القول بأن نقص فهمه كان راجعاً الى الجهل : غير أن الأمر ليس على هذا الجانب من البساطة . فإذا كنا نأخذ على ناقد من القرن الثامن عشر افتقاره الى تقدير حديث، تاريخي، وشامل، فلا بد لنا ،نحن، أن نتبني حياله الموقف الذي نلومه على الافتقار اليه، ولابد لنا إلا نكون ضيقين في اتهامه بالضيق، أو متحاملين في اتهامه بالتعامل . لقد كان لجونسون وجهة نظر إيجابية ليست هي وجهة نظرنا، وهي وجهة نظر تحتاج الى جهد كبير من الخيال من أجل فهمها، ولكن إذا استطعنا إدراكها فسوف نرى جهله أو بلادة إحساسه في ضوء مختلف. ويقول والتراليه<sup>(١)</sup> عن جونسون أنه «قرأ قراءات هائلة من أجل القاموس<sup>(٢)</sup>»، غير أن المعرفة التي اكتسبها بالأدب الانكليزي عن هذا الطريق لم تكن دائماً قابلة